

المحاضرة الثانية : النظريات السكانية.**تمهيد:**

إن الظاهرة السكانية محل اهتمام العديد من المفكرين منذ القدم. تركزت بحوثهم ودراساتهم حول محورين أساسيين هما أسباب النمو السكاني من جهة و الآثار المترتبة على ذلك من جهة أخرى، أين أولت المجتمعات القديمة أهمية كبيرة للإنجاب بهدف التعويض السكاني الناجم عن الحروب، الأوبئة و المجاعات.

✚ **كونفوشيوس (555 – 479 ق.م):** فيلسوف ومفكر صيني يرى بأن القيم التي تم وضعها

بخصوص السكان هي قيم أخلاقية، ذات أبعاد ديمغرافية، أين اعتبر الإنجاب من بين الواجبات المقدسة لكل مواطن ومن خلاله يتم ضمان استمرار النسل خاصة جنس الذكور، لذلك كان لا بد من إنجاب العدد الأقصى من الأطفال بما يوفر عددا انسابا من الذكور. إن إتباع هذا النوع من الممارسة كان نتيجة لارتفاع نسبة الوفيات، وإنجاب أكبر عدد من المواليد يضمن بقاء بعضهم حتى سن الإنجاب كمحافظة على استمرار السلالة، اعتبر إنجاب البنات من الأمور المنبوذة، حتى أن إمكانية التخلص منها مسموحة فهي كعبء إضافي ليس لحياتها أي أهمية إلا حين تنجب الذكور لزوجها (CONFUCIUS, 1981).

✚ اليونان القديمة :

✚ **أفلاطون (428 – 347 ق.م)** فيلسوف يوناني: يعتبر أفلاطون صاحب أول قانون واضح

المعالم في مجال السكان، فقد ركز في كتابه " القانون " أن الاستقرار السكاني أمر ضروري لتحقيق الكمال الإنساني، لذلك اقترح الإبقاء على المجتمع المكون من المواطنين الأحرار عند مستوى 5040 رب عائلة (7 !)**، فقد كان يعتقد أن الزيادة السكانية سوف تحول دون تحقيق تقسيم العمل المناسب للمجتمع، و تؤدي أيضا إلى ضياع الأنساب الأمر الذي سوف يخل بالديمقراطية.

أكد أفلاطون على ضرورة تناسب عدد أفراد المجتمع مع مساحة أراضيه و موارده الغذائية لذلك لا بد أن يكون هذا العدد مستقرا. لا يمكن أن تترك الخصوبة حرة فلا بد من مراقبتها وعلى الدولة التدخل لضبط ذلك عن طريق بتأخير سن الزواج، إجهاض النساء، وأد الأطفال أو الهجرة إلى الخارج. فقد ركز

** الرقم 5040 يعتبر جداء أول سبعة أرقام طبيعية مما يسمح بالحصول على ستون قاسم طبيعي. وهذا الرقم يسمح بتقسيم الأراضي بطريقة دقيقة على عدد السكان و تقسيمهم إلى مجموعات جزئية بدون صعوبة.

أفلاطون على قضية الاستقرار السكاني لإيمانه بأن النوع البشري أكثر أهمية من عددهم بالنسبة للمجتمع.

أرسطو (384 - 322 ق.م) فيلسوف يوناني: إن اتجاهات أرسطو الفكرية لم تبتعد عن ما سبق ذكره بالنسبة لأفلاطون، فقد كانت مخاوفه جد واضحة بخصوص الزيادة السكانية. لأن تقسيم الأرض ومواردها على عدد متزايد من السكان يولد افتقار فئة معينة من المجتمع. هذا ما يسبب جملة من الاضطرابات الاجتماعية التي من شأنها حرمان المجتمع من المزايا الاقتصادية لتقسيم العمل. لذلك كان من الضروري اللجوء إلى إجهاض النساء في حالة وجود عدد أطفال أكثر من اللازم.

✚ كوتيليا فيلسوف هندي:

- قام بعقد مقارنة بين السكان والموارد.
- أعطى اهتماما كبيرا لقضية الاستغلال الكامل للموارد بواسطة البشر.
- أكثر الامور سوءا في مجتمع ما أن يكون حجم السكان أقل من حجم الموارد المتاحة.

✚ الرومان

- إهتم الأباطرة بقضية الانجاب على أساس أن الانجاب وسيلة الاحلال لقتلى الحرب.
- يوفر السكان لخدمة الامبراطورية.
- معدلات المواليد مالت إلى الانخفاض قرب نهاية عهد الامبراطورية في روما.

✚ العصور الوسطى

✚ توماس اكويناس (1224 - 1274) فيلسوف ايطالي:

عندما بدأ عصر النهضة في أوروبا بدأت تظهر شيئا فشيئا وجهات نظر جديدة حول السكان. فقد رأى توماس أكويناس أن الزواج وتكوين الأسرة وإنجاب الأطفال أمر لا يقل مرتبة عن الرهينة. وقد كان هناك اعتقاد سائد في العصور الوسطى وهو أن أفضل أشكال الحياة الإنسانية هي الرهينة.

✚ ابن خلدون (1332 - 1406)

ابرز ابن خلدون أن الثروة والسكان تعتمدان بعضهما على البعض، وهذا يعتمد على المناخ السياسي والاجتماعي السائد. فقد تعرض للعلاقة بين عدد السكان والوضع الاقتصادي موضحا أن عدد السكان الأمثل يؤدي لرفع المستوى المعيشي من خلال حسن استخدام الموارد الاقتصادية وذلك من خلال تقسيم العمل. وان النمو السكاني يخلق الحاجة الى تخصص الوظائف الذي بدوره يؤدي الى دخول أعلى.

النمو السكاني يتركز أساسا في المدن، لذلك سكان المدن ذات الحجم الكبير أكثر رفاهية من المناطق ذات الحجم السكاني الأقل ، والسبب هو الاختلاف في طبيعة الوظائف التي تؤدي المناطق المختلفة.

✚ **التجارون (المركنتيلية):** تيار فكري نشأ مع نهاية النظام الإقطاعي، استمر إلى غاية القرن الثامن عشر وينسب مصطلح مركنتي بالايطالية الذي معناه "تاجر" لأدم سميث. الذي استخدمه لأول مرة وأرجع فكرة نشوءه إلى بداية العصور الحديثة وهو تاريخ يصادف ظهور جماعة في إنجلترا تعرف تحت اسم "أنصار المعادن النفيسة".

إن المدرسة التجارية لم تولي أهمية كبرى للعنصر السكاني، بل شجعت نموه فقط بغرض زيادة القوة العددية للرجال وهذا من أجل زيادة قوة الأمة ووحدتها، خاصة وأن هذه المرحلة تميزت بالاكتشافات الجغرافية والمزيد من المستعمرات. وان النمو السكاني أمر ضروري للزيادة في الإيرادات العامة للدولة.

بعض الكتاب مثل سميلش في ألمانيا رأوا أن ثروة المجتمع تساوي الإنتاج الكلي مطروحا منه لأجور للعمال. ومن هنا تبرز مزايا النمو السكاني على ثروة المجتمع. لكن بحلول القرن الثامن عشر كان من الواضح أن مبدأ تشجيع الزيادة السكانية الذي نادى به التجارون قد أدى إلى زيادة مستويات الفقر. يرى نيكولاس ماشيفال¹ بأن العامل السكاني يمثل أهم محددات القوة السياسية والعسكرية للبلد، فمن الأساسي أن يكون المجتمع كثير العدد ويشجع على الزيادة السكانية.

لم يتعرض جون بودان² لقضية السكان بطريقة مباشرة فقد تلخص بحثه حول إبراز أهمية العنصر البشري وحجمه للحصول على ثروة البلد، حيث ذكر في تحليله أن كثرة السكان أمر غير مقلق فلا ثروة بدون سكان وأن المجتمع كثير السكان شيء ثمين يعطي أهمية وقيمة للبلد.

بالنسبة لانتوان دو منتكرستيان³ فإن كثرة السكان لا يمكن أن تكون إلا كواجهة لسوء التسيير لكن في الحقيقة اعتبر أن ثروة البلد تكمن في حجم السكان. في حين أن كثرتهم دون استغلالها تؤدي إلى مشاكل.

1 **Nicolas Machiavel** (Niccolò Machiavegli) (3 mai 1469 – 21 juin 1527) est un penseur italien de la enaissance, théoricien de la politique et de la guerre.

2 **Jean Bodin**, né en 1529 à Angers et mort en 1596, à Laon, est un juriconsulte, philosophe et théoricien politique français, qui influença l'histoire intellectuelle ...

3 **Antoine Monchrestien de Watteville**, né à Falaise (Calvados) en 1575 et tué aux Tourailles le 7 octobre 1621 , est un poète, dramaturge et économiste français.

يعتقد بارتيلامي دولافماس⁴ أن ثروة الأرض لا تنفذ وأن سكان فرنسا قلة وأن الزيادة السكانية من المحفزات الأساسية لزيادة الثروة، فعلى هذا الأساس شجع على وضع سياسة سكانية تهدف إلى تحفيز الزواج والتقليص من الهجرة، فكانت بذلك رؤيته تعتمد أساسا على أهمية و ايجابية الزيادة السكانية.

اهتم سيباستيان فوين⁵ بالجانب الإحصائي للسكان وبذلك أعاد النظر في مفهوم الثروة وعلاقتها بالسكان. موضحا في كتاباته أن السكان هم شرط أساسي وكافي للثراء. إضافة إلى ذلك فقد اوضح فوين أهمية الإحصاء السكاني خاصة لدى الطبقات السوسيو مهنية، بحيث وفر مشروعا مهما من المعطيات الإحصائية ذات مستوى موازي للإحصائيات المتواجدة حاليا وأشار إلى ضرورة دراسة الظواهر الديمغرافية لمعرفة طريقة تطورها.

يرى جيوفاني بوترو⁶ بأن الحياة الإنسانية تعتمد على عاملين أساسيين: الطبيعة البشرية التي تميل إلى التضاعف، وإمكانية إيجاد الموارد المعيشية. مشيرا إلى أن قابلية البشر للتضاعف اكبر بكثير من إمكانية توفير الموارد الغذائية. وإذا تجاوز عدد السكان الحد الأقصى للموارد فان جملة من المشاكل تبدأ في الظهور ومن بينها المجاعات، الأوبئة و الحروب.

✚ الطبيعيون (الفيزيوقراطية):

تأسست هذه المدرسة قبل الثورة الفرنسية وتمركزت بالخصوص في فرنسا من ابرز ممثليها فرانسوا كيزناي⁷. ساهمت لحد كبير في تأسيس الاقتصاد السياسي، فهي أول مدرسة حثت على تدخل السلطة في الشؤون الاقتصادية. لتمثل بذلك فلسفة مضادة لأفكار التجاربيين الذين يرجع لهم الفضل الأول في وضع عملية الإنتاج في المركز الرئيسي للتحليل الاقتصادي النظري والمنهجي.

قد أشار الطبيعيون إلى أنه إذا تخصص بلد معين في إنتاج مواد غذائية، فإن هذه المواد تكون في متناول الفلاحين والطبقة العاملة ويؤدي ذلك إلى الزيادة في أعداد السكان، أما إذا ذهب جزء كبير من الناتج إلى الطبقة المالكة ستعطيهم فرصة الإنفاق على السلع الكمالية الأجنبية، لأنها تعتمد على قدر كبير من العمل الماهر وقدر قليلا من ناتج الأرض و بالتالي يرتفع ثمنها فيتجه جزء كبير من المنتجات

4 **Bathélemy de Laffemas** Barthélemy de Laffemas est un économiste français, né à Beausemblant (Drôme) en 1545 et mort à Paris, en 1612.

5 **Sébastien Le Prestre, marquis de Vauban** (15 mai 1633 - 30 mars 1707) est un homme à multiples visages : ingénieur, architecte militaire, urbaniste, ingénieur ...

6 **Giovanni Botero** (né en 1544 à Bene Vagienna, Piémont, mort en 1617 à Turin) est un penseur politique et homme de lettres italien.

7 **François Quesnay**, né le 4 juin 1694 à Méré et mort le 16 décembre 1774 à Versailles, est un médecin et économiste français.

الزراعية إلى التصدير للتبادل مع الواردات المصنعة و يحول ذلك دون زيادة عدد السكان. لم تكن لرواد هذه المدرسة مخاوف من الزيادة الكبيرة في أعداد السكان لأنها تعمل على زيادة الإنتاج الزراعي وفلاحة الأرض. و اعتبروا ان الارض هي المصدر الحقيقي للثروة وليس السكان.

اعتقد آدم سميث⁸ أن هناك نوع من التوافق الطبيعي بين النمو الاقتصادي والنمو السكاني، وأن حجم السكان يتحدد بمستوى الطلب على العمل والذي بدوره يتحدد بمستوى انتاجية الارض.

لكن كوندورسي⁹ في فرنسا رأى أنه ليس هناك حدود للتقدم التكنولوجي، وأنه مع تعاقب الاجيال سوف تزداد الممتلكات ومن ثم زيادة السكان. إلا أنه يرى أيضا أن النمو عندما يصل الى حدوده القصوى فإن الحل النهائي لا بد وأن يكون من خلال تحديد النسل.

ويليم جودوين¹⁰ رأى أن التقدم العلمي سوف يؤدي الى زيادة العرض من الغذاء، وأن هذا الازدهار لن يؤدي الى تضخم سكاني، حيث سيقوم الافراد طواعية بتحديد النسل. ان معظم مشاكل الفقراء ليست راجعة الى التضخم السكاني وإنما بسبب عدم المساواة والطمع والرغبة في احداث تراكم للممتلكات.

🚩 **المدرسة الكلاسيكية:** ظهرت المدرسة في إنجلترا في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن العشرين، حيث تزامن بروزها مع ظهور الرأسمالية وطغيان النشاط الصناعي وسيطرته، على عكس الفترات الزمنية السابقة أين كان النشاط الأساسي هو الزراعة.

1. روبرت مالتوس (1766 – 1834): باحث سكاني واقتصادي سياسي إنجليزي .

اشتهر بمقالته عن مبادئ علم السكان سنة 1798م، حيث تقوم فكرته الأساسية في هذا الكتاب على أن أعداد السكان في العالم تميل إلى الزيادة بينما كميات الطعام تقل. كما كان يعتقد أن الحروب والأمراض ستفتك بالأعداد الزائدة من البشر ما لم يتم تحديد النسل.(G. Wunsch, 2006, P31)

Caselli, J. Vallin, G. J

⁸ **Adam Smith** (5 juin 1723 - 17 juillet 1790) est un philosophe et économiste écossais des Lumières. Il reste dans l'histoire comme le père de la science économique moderne, dont l'œuvre principale, les Recherches sur la nature et les causes de la richesse des nations.

⁹**Marie Jean Antoine Nicolas de Caritat, marquis de Condorcet**, né le 17 septembre 1743 à Ribemont et mort le 29 mars 1794 à Bourg-la-Reine, est un philosophe, mathématicien, et homme politique français, représentant des Lumières. Il est célèbre pour ses travaux pionniers sur la statistique et les probabilités.

¹⁰**William Godwin** est un philosophe, théoricien politique et romancier britannique né le 3 mars 1756 à Wisbech (Cambridgeshire) et décédé le 7 avril 1836 à Londres.

لقد عاصر مالتوس فترة تحول مهمة في الاقتصاد البريطاني، من الرأسمالية التجارية إلى الرأسمالية الصناعية، مع تعاظم الدور الذي يقوم به الإنتاج السلعي الذي يعتمد على التخصص وتقسيم العمل والإنتاج بغرض التبادل. أين حقق تراكم رأس المال توسعا ضخما في الصناعة وأصبحت هي المجال الرئيسي للحصول على الأرباح لا الزراعة أو التجارة، فقد عرف هذا التطور الاقتصادي باسم الثورة الصناعية.

أما على الصعيد الاجتماعي فكانت نتيجة هذا التحول، بروز مشاكل خطيرة و زيادة في الكثافة السكانية بشكل واضح. فقد زاد التكسب البشري في الغرف وفي أبرشيات الكنائس والملاجئ وانتشرت الأمراض والرذائل الاجتماعية، وزاد عدد العاطلون نتيجة الاستخدام الموسع للآلات التي حلت محل العمل الإنساني. (رمزي زكي ، 1984، ص:19). تجسدت وجهة نظره في الصراع الفكري الحاد الذي نشب بينه وبين بعض الكتاب المعاصرين له مثل جودوين ، كوندرايه ، ديفيد ريكاردو وجان باتست ساي.

كان مالتوس ذو نزعة تشاؤمية، أما الآخرون فكانوا يرون أن ما يعانيه الإنسان إنما يرجع إلى الحكم الفاسد والقوانين الجائرة ورجال الأعمال الجشعين. فلو تمكن الإنسان من إصلاح الأنظمة الاجتماعية وتعديلها سوف تتغير طبيعة الإنسان وتحسن ظروفه. (رمزي زكي - 1984 - ص 20).

من الثابت تاريخيا أن المقولات الرئيسية في نظرية السكان لمالتس قد سبقه إلى صياغتها مفكرون آخرون، فابن خلدون بحث في ذلك منذ القرن الرابع عشر أين تحدث عن الصلة الوطيدة بين عدد السكان ومستوى الحضارة، لأن عدد السكان يعد عاملا هاما في تقسيم العمل وفي النمو.

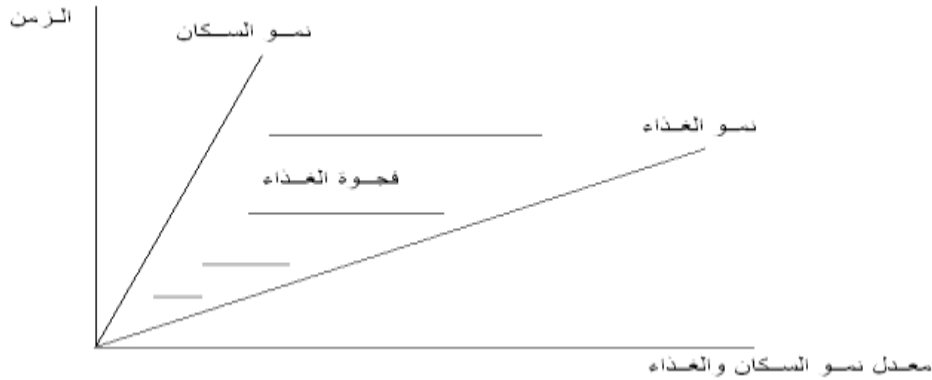
إن فضل مالتوس هو في كونه وضع نظرية متكاملة للسكان، فقد فرضها على علم الاقتصاد عندما أشار إلى وجود عامل يجب دراسته إلى جانب الإنتاج والتوزيع والتبادل، ذلك لأن العلاقة وطيدة بين تطور عدد السكان وتطور كمية الإنتاج. (G. Caselli, J. Vallin, G. J. Wunsch, 2006, P30) وكان لدخول عامل السكان في صميم السياسة الاقتصادية أن تشكل علم خاص يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم الاقتصاد وهو علم السكان.

يرى مالتوس أن الإنسان لا يستطيع العيش دون وجود الطعام وأن قدرة الإنسان على التكاثر تتجاوز بكثير إمكانية زيادة الموارد الغذائية، فطبقا لفكرة المتتالية الهندسية فإن عدد السكان من الناحية النظرية يمكن أن يستمر في التزايد إلى ما لا نهاية ما لم يعرقل هذا التزايد موانع معينة وكل ما استند إليه هو الإحصاءات التي كانت تعكس آثار الهجرة السكانية الكبيرة في أوروبا إليها آن ذاك. (رمزي زكي - 1984 - ص:26).

يقول مالتوس : " بحكم قانون طبيعتنا هذا الذي يجعل الغذاء ضروريا لحياة الإنسان، فلا بد من الإبقاء على تساوي النتائج المترتبة على هاتين القدرتين غير المتساويتين، وهذا يتضمن عائقا قويا باستمرار منع زيادة السكان عن طريق صعوبة العيش، وهذه الصعوبة يجب أن تحل في مكان ما، ولا بد حتما أن يشعر بها فريق كبير من الجنس البشري" (رمزي زكي - 1984 - ص:26).

أن المشاكل التي يواجهها المجتمع من فقر وبطالة وسوء الأحوال المعيشية والصحة والجوع وانتشار الآفات والانحرافات الأخلاقية، هي نتيجة حتمية لقانون الطبيعة الأبدى مهما كانت الظروف التي يعيش فيها الإنسان. وهذه المشاكل لا صلة لأي نظام بها، وبالتحديد النظام الرأسمالي ولا لأي طريقة في الحكم، بل الفقراء هم المسؤولون عن شقائهم وسوء أحوالهم. وذلك بتكاثرهم نتيجة سلوكهم الجنسي غير الموجه والمنظم وأهم مساعدة يمكن تقديمها لهم في توعيتهم وتبصيرهم بقانون السكان وبالنتائج المترتبة عن ذلك. فعلى إثر هذه الرؤية اتخذ مالتوس اتجاها لمعالجة هذه المشكلة وذلك بطرح جملة من الحلول أهمها كان لا إنساني لتقليل التزايد السكاني، وذلك بفرض موانع معينة توفر التناسب بين الزيادة السكانية وبين الثروات الطبيعية.

نمو السكان و نمو الغذاء وفقا لمالتوس



لقد ذكر مالتوس، الحلول في شكل موانع إيجابية وموانع سلبية.

الموانع الإيجابية: هي العوائق التي من شأنها زيادة معدل الوفيات كالحروب والمجاعات والأوبئة وهي بفعل الطبيعة لإحداث التناسب.

الموانع السلبية : هي العوائق التي من شأنها تخفيض معدل المواليد، مثل تأخير سن الزواج، وكافة أشكال تحديد النسل لدى الإنسان واتخاذ السبل والإجراءات التي من شأنها منع الفقراء من الزواج وكثرة الإنجاب. وهنا يعتبر موقف اختياري يتبعه الإنسان لتفادي المشاكل على الأمد البعيد.

انتقدت نظرية مالتوس للتكاثر البشري الذي اعتبره عملية بيولوجية بحتة مستقلة عن ظروف الإنسان الاقتصادية والاجتماعية، في العديد من الدراسات والبحوث الاجتماعية والاقتصادية التي جاءت لاحقا، على أساس أن النمو السكاني هو دالة في الأجل الطويل في درجة التطور الاقتصادي والاجتماعي للمحيط الذي يعيش فيه الإنسان. بالإضافة إلى أن مالتوس كان متأثرا جدا بقانون تناقص الغلة وهو القانون الذي له مرتكز هام في الفكر الاقتصادي الكلاسيكي. والذي ينص على أن الزيادة التي تحدث في الإنتاج لا تتناسب مع الزيادة المستخدمة من عنصري العمل أو رأس المال لأن الأراضي الزراعية، وبعد حد معين تصل إلى حد "التشبع" ولا تؤدي الزيادة في استخدام عنصري العمل أو رأس المال إلى زيادة الناتج بنفس النسبة وإنما بنسبة متناقصة. بحيث تشكل قيودا رئيسيا على النمو السكاني، فاستنادا على هذا المرتكز يكون بذلك قد أهمل عنصر التقدم الفني ومدى إمكانية زيادة الإنتاج عن طريق التقدم العلمي والتكنولوجي.

نظرية التحول الديمغرافي قام وارين تومسون في 1929 بتجميع بيانات عن المتغيرات الديمغرافية لبعض دول أوروبا. وتوصل إلى الآتي:

المجموعة (أ) (وتشمل شمال وغرب أوروبا) انتقلت من معدلات مرتفعة للزيادة الطبيعية (المواليد الخام - الوفيات الخام) إلى معدلات منخفضة للزيادة الطبيعية، وأن هذه الدول قد تواجه توقفا في معدلات الزيادة في السكان، ثم تأخذ بعدها أعداد السكان في هذه الدول في الانخفاض (نمو سكاني سالب)

المجموعة (ب) (إيطاليا وأسبانيا وسلوفاكيا في وسط أوروبا)، تواجه انخفاضا في كل من معدلات المواليد والوفيات. ولكنه رأى أن معدل الوفيات سوف ينخفض بصورة أكثر سرعة من انخفاض معدل المواليد. وأن ظروف هذه الدول تشابه الظروف التي عاشتها المجموعة الأولى منذ 30-50 عاما

المجموعة (ج) (باقي الدول) لا يوجد أي دليل على وجود أي نوع من التحكم في معدلات المواليد أو الوفيات في هذه الدول.

وفي عام 1945 قام فرانك نوتشتاين بإعادة تناول دراسة تومسون حيث اقترح اعطاء المسميات الآتية للمجموعات الثلاثة:

المجموعة الأولى أسماها الانخفاض الملموس.

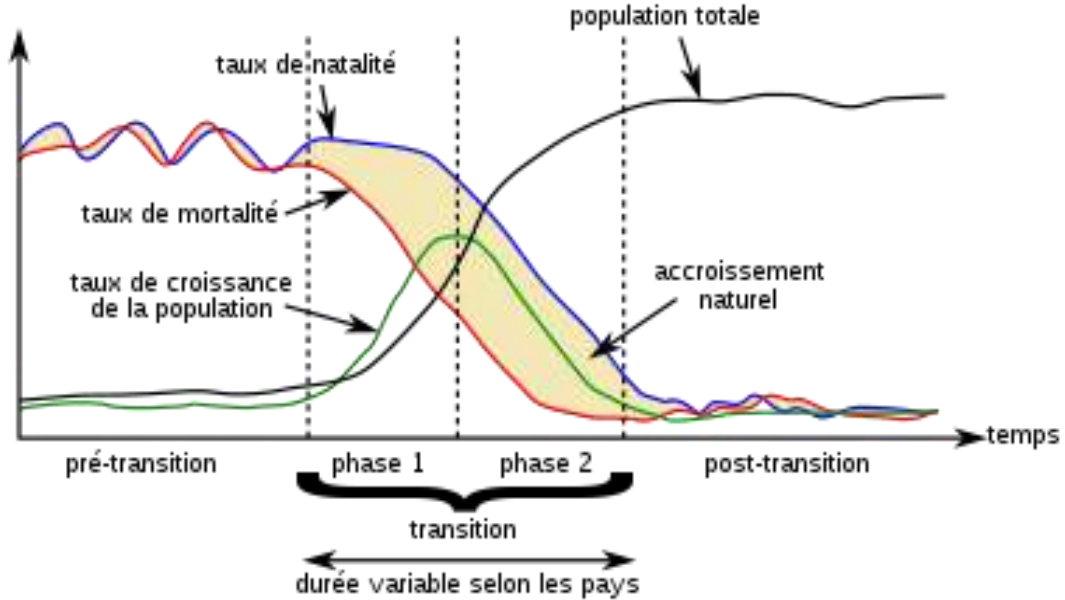
المجموعة الثانية أسماها النمو التحولي.

المجموعة الثالثة أسماها النمو المرتفع.

ان التحول الديمغرافي هو « الانتقال من مرحلة تكون فيها كل من معدلات الخصوبة والوفاة مرتفعة

ومتوازنة تقريبا الى مرحلة تنخفض فيها هذه المعدلات و تتوازن ايضا »¹¹. يقسم هذا التحول الى اربعة.

المنحنى 02 : مراحل التحول الديمغرافي.



ترجع فترة تأخير بين انخفاض معدلات الخصوبة وانخفاض معدلات الوفيات، حسب تتغير فيه الظروف الاجتماعية التقليدية وكذلك الظروف الاقتصادية وتغير المؤسسات التي تشجع المستويات المرتفعة من الخصوبة.

قدمت النظرية اقتراحا لا يمكن تجاهله، وهو أن مستويات الخصوبة والوفيات تميل الى أن تكون مرتفعة في المجتمعات التقليدية (غير الصناعية)، ومنخفضة في المجتمعات المتقدمة (الصناعية). وبين مرحلة المجتمع التقليدي (غير الصناعي) والمجتمع الصناعي تكون هناك فترة تحول ديموغرافي

ولقد لوحظ أن الانخفاض في معدل المواليد يقل عن الانخفاض في معدل الوفيات بأن عملية التحول تأخذ وقتا حتى يتكيف السكان مع حقيقة أن معدلات الوفيات أقل من معدلات المواليد

انخفاض الخصوبة بصورة سريعة أمر غير ممكن في المجتمعات التي اعتادت على أن تكون معدلات المواليد فيها مرتفعة لكي تساير معدلات الوفيات المرتفعة. انخفاض معدل المواليد يرجع إلى

انخفاض أهمية الحياة الاسرية فالحاجة الى الاسرة الكبيرة تنبع من أن الاسرة الكبيرة تشكل بالنسبة للأباء مجمعا للعمال.

أن عملية التنمية الاقتصادية تؤدي الى انتشار التعليم الالزامي بهذه المجتمعات، ومن ثم تخفيض أهمية الاطفال من خلال سحبهم من سوق العمل، وهو ما ينعكس على أدراك الافراد بأن انخفاض معدلات الوفيات للأطفال يعني ضرورة ولادة عدد أقل من الاطفال.

مراحل التحول الديمغرافي في الجزائر:

مرحلة ما قبل التحول اين يكون فيها توازنا في حجم السكان عند معدلات زيادة طبيعية منخفضة والناجمة عن ارتفاع معدلات الخصوبة والوفيات (غياب أي توجيه للخصوبة او مكافحة للوفيات) .

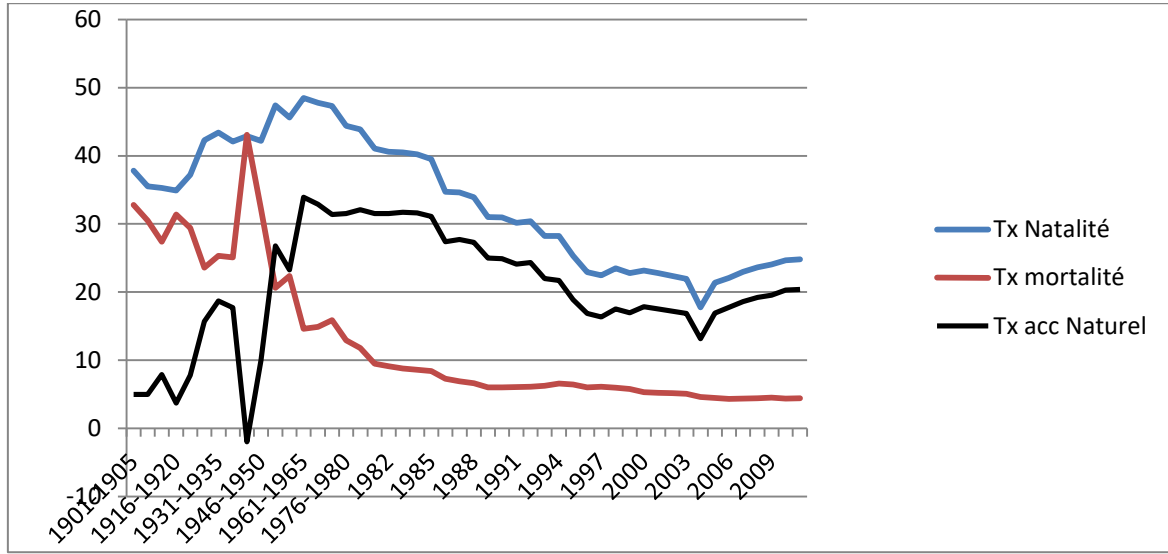
المرحلة الأولى اين ينخفض فيها معدل وفيات الأطفال والرضع (انخفاض الوفيات عند توافر الاساليب الصحية) ويبقى معدل الخصوبة مرتفعاً، يرتفع خلالها معدل النمو السكاني وتزداد نسبة الفئات العمرية الفتية ويرتفع معدل الإعالة، ويحدث اختلال في توازن المرحلة الاولى وهو ما يدفع بالمجتمع نحو المرحلة الثانية.

المرحلة الثانية في هذه المرحلة يحدث نمو سكاني سريع ناجم عن عدم التوازن بين انماط انخفاض معدلات المواليد ومعدلات الوفيات ينخفض فيها معدل الخصوبة تدريجياً حتى يبلغ معدل الإحلال (2.11 طفل لكل امرأة) حيث تشير أحدث التقديرات الى انخفاض في معدل المواليد على مدى العقود الماضية، وعلى وجه التحديد من عام 1986 كما يوضحه المنحنى التالي اي بداية انتقال الخصوبة. فالانخفاض واضح في مستويات الخصوبة فمن 8 أطفال لكل امرأة في عام 1970 الى 7.1 في عام 1980 و4.5 في عام 1990 ليصل الى 2.8 في عام 2000، ثم الى ما دون معدل الاحلال 1.79 طفل لكل امرأة في عام 2009¹². حيث يمكننا ارجاع ذلك الى التغيير الاجتماعي والاقتصادي الذي يشهده المجتمع و الذي كان ذو تأثير كبير على الاتجاهات والمواقف تجاه الإنجاب. إلى جانب الصعوبات والقيود الاقتصادية، تكلفة تعليم وتربية الأطفال العالية نتيجة التحولات الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية وحتى السياسية، ارتفاع نسبة تدرس الفتيات وبالتالي استمرارهن في التعليم حتى مستويات عليا مما يؤثر على ارتفاع متوسط سن الزواج وارتفاع نسبة المشاركة النسوية في سوق العمل.

12 Données statistiques de l'ONS, rapport interministériel sur le programme de la maîtrise de la croissance démographique, Alger 1983, Conseil National Economique et Social (CNES) : Etude sur la politique en matière de population, Alger 1996.

ينعكس انخفاض معدل الخصوبة ومعدل الوفيات مباشرة على نسبة الزيادة الطبيعية للسكان، ومن أهم نتائج التحول الديمغرافي ارتفاع نسبة السكان في سن العمل (15 - 59 سنة) ونسبة المسنين، وانخفاض نسبة الأطفال أقل من 15 سنة. وسيبقى لفئة الشباب حيز هام في جميع البلدان العربية، وستشهد غالبيتها فترة رفاة من الناحية الديمغرافية، حيث ستبقى نسبة السكان في سن العمل مرتفعة حتى عام 2020م أو ما بعده وفقاً لخصوصية كل بلد.

المنحنى 03 : مخطط التحول السكاني للمجتمع الجزائري.



المصدر: فوزية بلعجال (2012)، العوامل الديموغرافية - اقتصادية المؤثرة على سوق العمل الجزائرية، اطروحة دكتوراه في الديمغرافيا، جامعة وهران، ص 136.

مرحلة ما بعد التحول وهي اخر مرحلة. مرحلة لم تصل الجزائر اليها بعد. ينخفض معدل النمو السكاني و يتجه نحو الاستقرار وتنخفض معه نسبة الفئات العمرية الفتية ، وترتفع نسبة السكان في سن العمل (وصول الفئات العمرية الفتية في المرحلة الأولى الى سن النشاط) مؤدية الى انخفاض معدل الإعالة، الذي يمكن ان يرتفع ايضا بسبب ارتفاع نسبة كبار السن نتيجة التحسن في المستوى المعيشي والصحي الذي يؤدي الى ارتفاع امل الحياة.

يتأثر معدل الزيادة الطبيعية للسكان مباشرة بمعدل الخصوبة و معدل الوفيات، من خلال ارتفاع نسبة السكان في سن العمل (15 - 59 سنة) و نسبة المسنين، وانخفاض نسبة الأطفال أقل من 15 سنة. وتعد النافذة الديمغرافية¹³ من المظاهر الايجابية في عملية التحول الديمغرافي.

¹³ ظاهرة سكانية تحدث للمجتمع حينما ينتقل من مرحلة تتسم بارتفاع نسبة إيجاب وإعالة الأطفال، إلى مرحلة تنخفض فيها معدلات الإنجاب ونسبة عدد الأطفال ممن نقل أعمارهم عن خمسة عشر عاماً، وتزداد نسبة السكان في سن العمل، الذين تتراوح أعمارهم ما بين خمسة عشر عاماً إلى أربعة وستين عاماً، مع بقاء نسبة الفئة السكانية في الأعمار المتأخرة التي تبلغ خمسة وستين عاماً فأكثر منخفضة.

يرى بعض الباحثين الجزائريين¹⁴ ان الزيادة السكانية تعتبر عامل ايجابي من جانب التشغيل اذ استغلت كما يجب، فيمكن استثمارها في تحسين إنتاجية العمل و وضع برامج تخطيطية مستقبلية تهدف الى خلق العديد من فرص الاستثمار و استغلال مواردها الطبيعية والبشرية على النحو الأمثل، كما يمكن الاستفادة منها في تدعيم برامج التأمينات الاجتماعية لان عدد السكان النشطين المنتمين إلى القوى العاملة يفوق عدد السكان المتقنين. لكن، و لحد الساعة لم تستغل الجزائر هذه الفرصة بالتخطيط المسبق لاستغلال الارتفاع في نسبة الشباب، واستغلال قوة العمل المعروضة خاصة المتعلقة بمساهمة المرأة في الشغل. و بالتالي فان الزيادة السكانية للمجتمع الجزائري تشكل عبئا و مصدرا لكثير من الصعوبات التي تواجهها البلاد.

الاسباب التي تؤدي الى التحول الديمغرافي: هناك مدخلان لشرح التحول ا من الناحية النظرية.

✚ فالمدخل الاول يؤكد ان انخفاض الخصوبة يعد استجابة مباشرة لانخفاض معدلات الوفيات حيث تصل المجتمعات في النهاية الى تحقيق التوازن بين معدلات المواليد والوفيات. فعندما تنخفض معدلات الوفيات بسبب التقدم في مجال الصحة وظروف المعيشة فان التوازن بين المواليد والوفيات يختل، وتحدث زيادة في حجم السكان ما لم تتكيف معدلات المواليد مع ظروف الوفيات الجديدة وتنخفض هي الاخرى بالتبعية.

غير أن انخفاض الخصوبة الناتج عن انخفاض الوفيات يأخذ فترة، يطلق عليها فترة التأخير. ويعتمد طول هذه الفترة على سرعة ادراك الاسر لحقيقة أن معدلات الوفيات قد انخفضت. وان عددا اكبر من اطفالهم سوف يبقون على قيد الحياة وهو ما يجعلهم يشعرون بأمان أكبر.

✚ أما المدخل الثاني فيقوم على أساس أن التحديث يخلق قوة دافعة نحو تخفيض كل من الوفيات والمواليد، وان طول فترة التأخير في استجابة الخصوبة بالانخفاض يرجع الى حقيقة ان سلوك الخصوبة يعد جزءا لا يتجزأ من ثقافة المجتمع، مما يجعل انخفاض معدلات المواليد بصورة اكثر بطأ من انخفاض معدلات الوفيات.

14 نصر الدين حمودة و اخرون.